



GN:02965  
94014  
مركزية 1  
أوربا - تاريخ

السيد البار العريفي

٥٥٩٩٨

١ قف - ١٠٠  
٥٥٩٩٨  
٥٥٩٩٨

أجناس الروم

١٩٥٦

الكتب العامة  
لجنة التأليف

جامعة الفيوم - كلية دار العلوم  
إهداء  
مكتبة مركز دار العلوم  
٥٥٩٩٨  
لجنة التأليف  
٥٥٩٩٨

٥٥٩٩٨

# أجناد الروم

Themes

لم يوجد في اللغة اليونانية عن أجناد الدولة البيزنطية بحث منظم سوى ما ورد في المؤلف الذي وضعه قسطنطين بروفير وجينوس من الأجناد أو الثغور De Thematis في القرن الثامن الميلادي ومما صنفه Philotheos Protospatharios من رتب الجيش وقادة الثغور أو الأجناد في بداية القرن الثامن الميلادي. على أن قسطنطين أشار إلى ما تناحاه هؤلاء القادة من أركان وروثب ضمن الإمبراطور ليو السادس (٨٠١-٩١٢ م) ولورد قسطنطين أسماء واحد وثلاثين ثغرا غير أنه يبدو أن هذه الثغور أو الأجناد كانت أقل عددا وأكثر انشاعا مما حاربت إليه زمن الإمبراطور قسطنطين بروفير وجينوس (٩١٢-٩٦٩)<sup>(١)</sup> 'Constantin Porphyrogenitus'.

لذا ينبغي أن نعرف إلى الظروف التي أدت إلى ظهور نظام الأجناد أو الثغور البيزنطية والخصائص التي تميزت بها وأهمية هذا النظام في كيان الإمبراطورية البيزنطية ثم عوامل انهياره.

على أنظر الدولة الرومانية الشرقية على إحصائياتها الجغرافية الرومانية من الجند الموزعين الثغورين أو الخاليين أو المندمين (Foderati) الذين خطروا على أراضي داخل حدود الإمبراطورية. فأدخل الإمبراطور ليو الأول (٨٠١-٨٢٠ م) الجيش جندا من قبائل شرق البلقان وفرنكون وألمانيا مثل الآيسونديون والأرضين النازيين بالترغصات الآيسونديون وألقت منهم فرق من الثغورين.

Brooke, Arabic Lists of the

Byzantine Themes

Journal of the Hellenic Studies

Vol. XXI (1901) p. 67

(١) انظر



موريس نظام الجيش الإقليمي ، فصحح بأن يضم جميع الرجال الأحرار الرماية وأن يتزود كل منهم بالفرس والريح حتى يستطيعوا الدفاع عن أراضيهم حين تدفعهم الغارة <sup>(١)</sup>.

ولما جرى قديماً سهر على حاية أطراف الإمبراطورية الرومانية جيش الحدود المعروف باسم Limitanei المكون من جند من الفلاحين ، توارثوا مهنة الجندية وحملوا مقابل الخدمة العسكرية على أراضي ، فلماذا لا يطبق هذا النظام على الأقاليم الواقعة في قلب الدولة وفي آسيا الصغرى بعد أن تعرضت لغارات الأعداء من كل جانب ، وبعد أن انحسرت حدودها وأطرافها . فكان الأخذ بنظام جيش الأطراف يتفق ما جرى من ابتداع نظام الثغور أو الإيجاد <sup>(٢)</sup>.

والأصل في نظام الإيجاد أو الثغور هو مرابطة بعض فرق الجند وهي المعروفة بلفظة themes في إقليم معين للدفاع عنه ؛ ثم تلى ذلك تعيين قائد للجند يعرف باسم Strategos ، ثم أصبح هذا القائد يجمع في يده السلطين العسكرية والمدنية بالإقليم ، فصارت الأقاليم تعرف تباعاً لذلك باسم الإيجاد أو الثغور <sup>(٣)</sup>.

وإذا كان من خصائص حكومة الأقاليم (الإيجاد) جعل السلطين الحربية والمدنية في يد حاكم الإقليم ، فمن الواضح أن هذا النظام كان معروفاً في إيطاليا منذ القرن السادس . إذ اجتمعت أقاليمها الثلاثة عشرة تحت رعايته قائد واحد ، تلقب أول الأمر باسم أرخون exarch لا باسم Strategos . وجرى هذا التغير في القرن السادس كذلك في إفريقية ، إذ عدت الأقاليم الستة بأفريقيا خاصة لسلطة أرخون زمن الإمبراطور موريس ، وبالمثل الأرخون أن تلقب باسم ستراتيغوس ، وهو لقب قائد الثغر <sup>(٤)</sup>.

- Runciman : op. cit. p. 130. (١) أنظر  
Kantarrowicz : op. cit. p. 156 (٢)  
Runciman : op. cit. p. 140. (٣)  
Diehl : L'origine du regime des (٤)  
themes dans l'empire byzantin p. 237  
Kantarrowicz : op. cit. p. 156

الدارعين الذي اشتهروا بالملوحة في الرماية ، ويفضل هؤلاء الفرسان أحرز الامبراطور جستنيان انتصاره الباهرة <sup>(١)</sup> . غير أن الجند المأجورة خلفت نظاماً مالم لا أنشر حتى عم الجيش كله ، ومن مساوئه هذا النظام أن القائد لا الحكومة المركزية هو الذي يتولى تجنيد رجاله والإيفاء عليهم ، إذ لم يكن نظام الفرق الحربية معروفاً وقتذاك ، وضعت كل طائفة تنتمي إلى قائدها وتسمى باسمه ، واشتهرت هذه الطوائف باسم Bucellarii <sup>(٢)</sup>.

ثم حل بهذا النظام الفوضوي والاضطراب بفضل ما درج عليه جستنيان من إصصاف شأن القادة العسكريين ، فلم يعد يندى عليهم أموالاً وفيرة ، مما أدى إلى انتشار حوادث التردد والثورات في صفوف الجيش . وصافى إلى ذلك أنه ترتب على سوء الأحوال الاقتصادية في الإمبراطورية أو آخر زمن جستنيان وزمن خليفته جستين الثاني أن انخفض عدد الجند المرتقة بالجيش البيزنطي ، وأفاد من ذلك الامبراطوران تياريوس وموريس فعملا على القضاء على هذه الطوائف المأجورة وأعادوا تنظيم الجيش البيزنطي على أساس جديد <sup>(٣)</sup> . وقامت الحكومة المركزية بهذا العمل ، فأنف الجيش من وحدات يراوح عدد كل منها بين ٢٠٠ ، ٤٠٠ جندي بقيادة القومس Comes ، فإذا اجتمع منها ست أو سبع أو ثمان وحدات مما تكون منها ما يعرف باسم moira بقيادة الموق moerarch . وحرص الإباطرة على ألا تكون أعداد الجيش معلومة أو محدودة حتى لا يقف العدو على أسراره وكفائيه . ولم يوجد بالجيش البيزنطي من قبل من الفرق الدائمة إلا الفرقان المرؤسان باسم Bucellarii (البقلار) و Optimati ، وتأنفا من الجند الأجانب الذين تكون منهم الحرس الإمبراطوري . وأدخل الإمبراطور

- Ernest Kantarrowicz : Feu dalism in (١) أنظر  
the Byzantine Empire p. 154  
Runciman : The Byzantine Civilisation p. 138 (٢)  
Runciman : op. cit. p. 138 (٣)  
Runciman : op. cit. p. 139

في مواكب الإمبراطور، أى أنهم يمثلون ما هو معروف بالحرس الخاص. وما لبث أن اندمج هؤلاء الجند في القوات البيزنطية واستقرت قوات الحرس في جهات بنطس، وخطه ومدن بنبيا، وفريجيا، ثم تناقصت مساحة هذا الثغر بقيام ثغرى Optimate، والبقلاز أو آخر القرن الثامن<sup>(١)</sup>. وفي زمن قسطنطين تكون من جزائر بحر الأرخيل والساحل المقابل لها من آسيا الصغرى الثغور الثلاثة المروقة في بحر إيجه، وجزيرة ساموس، كيربوتس. Cibyreotes، وربما تعرضت هذه الأقاليم عن ثغر واحد كبير يرجع إلى زمن سابق على عصر قسطنطين<sup>(٢)</sup>، ربما قام في منتصف القرن السابع لحماية جزر الأرخيل، ولأمد سلطانه على بحر إيجه وسواحل آسيا الصغرى من تروادة حتى كيليكيا<sup>(٣)</sup>.

أما ثغر تراقيسيان Thracian فيرجع إنشاؤه إلى سنة ٧٤٠، واشتمل على الجهات الغربية من ثغر الأناطوليك، واتخذ اسمه من اسم الحامية الأوربية التي جاءت من تراقيا، وخضع قائده أول الأمر لحاكم الأناطوليك، وكذلك قام ثغر البقلاز في القرن الثامن في الجانب الشرقي من ثغر أيسكيون<sup>(٤)</sup>. فلم يكن في آسيا الصغرى زمن الأسرة الأيسبورية سوى خمسة أجناد، وهي على الترتيب في الأهمية: الأناطوليك، الأرميناك، تراقيسيان، أوبسكيون، البقلاز. وظل نظام الثغور الخمسة هو المعروف في آسيا الصغرى حتى نهاية الأسرة الأيسورية<sup>(٥)</sup>. والراجع

Diehl : op. cit p. 279  
Ibid. p. 280  
Ibid. p. 281  
Vasiliev : The Byzantine Empire p. 250  
Vasiliev : The Byzantine Empire p. 250  
Bury : History of the Eastern Roman Empire pp. 221 - 222

(١) أنظر  
(٢)  
(٣)  
(٤)  
(٥) أنظر

ونجحت هذه التغييرات الخطيرة عن الرغبة في مقاومة ما تعرضت له الإمبراطورية في الغرب من غارات اللبadiين والمغاربة. ولعل غزوات الفرس والعرب التي تعرضت لها الإمبراطورية في الشرق أوائل القرن السابع هي التي دعت إلى اتخاذ إجراءات مماثلة. إذ ظهر اسم الأرميناك Armeniacs لأول مرة زمن الإمبراطور هرقل على حد تعبير قسطنطين بروفير وجنتيوس. وعلى الرغم من إشارة تيوفان إلى أنه تولى أس هذا الثغر سنة ٦٦٧ حاكم بلقب سترايجوس، فإن معظم الروايات تعتبر سنة ٦٦٩ هي السنة التي بدأ فيها ظهور الأرميناك، وهذا يدل على أنه حدث قبل هذا التاريخ ما مهد لقيام هذه الحكومة الحربية الضخمة في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى، ولأمد سلطانها من كيليكيا إلى البحر الأسود فشملت الأقاليم المروقة قديماً باسم قبادوقيا وأرمينيا وهلبسونت وبافلاجونيا، ولم يتصل حجبها إلا بعد قيام حكومات في أقاليم Chalde - Sebastée - Charisian وبافلاجونيا<sup>(١)</sup>.

وفي النصف الثاني من القرن السابع أى حوالي سنة ٦٦٩ قامت حكومة إقليمية أخرى وهي المروقة باسم الناطيق Anatolies مثل اختصاصها كل الجهات الواقعة بالجنوب الشرقي من آسيا الصغرى وبعض أجزاء قبادوقيا، وليكونيا، وبسديا، وأيسوريا، وأجزاء من بامفيليا، وفريجيا، وتناقصت مساحتها بقيام ثغرى قبادوقيا وتراقسيان<sup>(٢)</sup>.

ثم تلى ذلك قيام ثغرين آخرين هما ثغر أيسكيون Opsicon والثغر البحري. وعلى الرغم من أننا لم نشر على اسم أول حاكم لثغر أيسكيون إلا سنة ٧١١، فالراجع أن هذا الإقليم غدت له صفة إدارية مستقلة في سنة ٦٦٨، إذ يشير قسطنطين إلى أن جند أيسكيون هم الذين ينظمون

Drithl : op. cit p. 278  
Drithl : op. cit p. 278

(١) أنظر  
(٢) أنظر

عل زحف البلغار وتقدمهم نحو نهر الدنوب إنشاء قيادة حربية قوية في تراقيا منذ سنة ٦٨٧ شمل سلطانها كل تراقيا حتى بحر إيجه ولتند نفوذها إلى البحر الأسود، وتوقع عنها في نهاية القرن الثامن حكومة (نغر) مقدونيا<sup>(١)</sup>. ثم قامت حكومة ستريمون Strymon وحكومة اليونان Helleade لمقاومة غارات الصقالية، وشملت اليلديونيز ووسط بلاد اليونان وتساليا ولبيريا حتى بحر الأيونيان<sup>(٢)</sup>. فاجتمع في الجانب الأورفي من الإمبراطورية البيزنطية في نهاية القرن الثامن أربعة شعور وهي: تراقيا، ومقدونيا، وجيلاد، وصقلية<sup>(٣)</sup>.

ونستطيع أن ندرك ما جرى من تطور في هذه الشعور وانقسامها إلى شعور جديدة منذ منتصف القرن التاسع الميلادي عما أورده جفرافير العرب من أخبار عن هذه الشعور. اجتمع لدينا خمس قوائم أوردها هؤلاء الجغرافيون إذا أشار إليها ابن خردادبه (المتر في ٨٤٥، ٨٤٨) وقائمة بن جعفر (المتر في حوالي سنة ٩٣٠)، وابن الفقيه الحمدي المتر في حوالي سنة ٩٠٢، والمسعودي المتر في حوالي سنة ٩٥٦ ثم الإدريسي المتر في حوالي سنة ١١٥٤<sup>(٤)</sup> وتعتبر قائمة ابن خردادبه أقدم قوائم الجغرافيين العرب، كما أنها تسبق قائمة قسطنطين بنو مائة سنة. وجاء ترتيب الأجناد أو الشعور أو الأجهال أو البتود — وهي المصطلحات التي أطلقها هؤلاء الجغرافيون على الشعور — في قائمة ابن خردادبه على النحو الآتي:

- (١) أنظر : op. cit p. 283  
Diehl : op. cit p. 284  
(٢) Bury : op. cit p. 223  
Vasiliev : The Byzantine Empire p. 250  
(٣)

(١) أنظر دي غويه : المكينة الجغرافية .  
ابن خردادبه وقائمة في الجزء السادس .  
المسعودي : التقيي والاشراف الجزء الثامن .  
ابن الفقيه — لم يرد ذكر الشعور في الكتاب الذي نشره دي غويه في هذه المجموعة إنما ورد في كتاب باقوت المروف باسم معجم البلدان طبعه لينينج ج ٢ ص ٨٦٣ ، ج ٤ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ .

أنه جرى قبل مهاجمة المسلمين لأقاليم الأطراف أن انفصل من شعور الإثاتولييك والارميناك جهات تكونت فيها حكومات Kleionarchies اتخذ قائمتها من الأجنادات والتدابير ما يستطيعون بها الدفاع عنها مستقلين عن حاكمي الشعورين الكبارين . وعلى هذا النحو قام شعور سيلقية غرب كيليكيا بعد انفصاله عن شعور الإثاتولييك ، ونشأ شعور خرسانيون من بعض جهات منزعقة من شعور الارميناك<sup>(١)</sup> . أما قبا دوقا الجنوبية التي تعرضت بحكم موقعها لغارات المسلمين من دروب كيليكيا فالتفت بها كذلك حكومة مستقلة ، ورد بها جرى ذلك أوائل القرن التاسع<sup>(٢)</sup> .

أنشأ الإمبراطور تيودور قبل (٨٢١ — ٨٢٩) شعورين آخرين هما بافلاجونيا وخالديا ، بعد أن اقتطع جهاتهما من أملاك البقار والارميناك وذلك للسيطرة على البحر الأسود بعد أن تعرض لأخطار المسلمين في أرمينيا . وفي جنوب خالديا تقع دوقية كولونيا Koloneia وهي جزء من الارميناك ، وغدت مع قبادوقيا سنة ٨٦٣ شعورين<sup>(٣)</sup> .

وعلى هذا النحو أخذت الشعور في شرق الإمبراطورية البيزنطية تنقسم وبنيت منها شعور أخرى نتيجة لما جرى من أخطار خارجية ولا اعتبارات سياسية . إذا ذكر ليون الثالث بجبرتها لخطر الذي يترتب على ما يتمتع به حاكم الإقليم (النغر) من سلطته حربية قوية قد تدعوه إلى إعلان الثورة والوثوب إلى العرش<sup>(٤)</sup> . أما الجهات الأوربية من الإمبراطورية البيزنطية فقد تعرضت لما تعرضت له الأقاليم الآسيوية من تغييرات ، إذ قام في صقلية قبل سنة ٦٥٤ شعور مستقل لحماية غرب البحر المتوسط من خطر البحرية الإسلامية . وترتب

- Bury : op. cit p. 222  
(١)  
Bury : op. cit p. 222  
(٢)  
Bury : op. cit p. 223  
(٣)  
Vasiliev : the Byzantine Empire p. 250  
(٤)  
ابن خردادبه : المسالك والممالك ص ٧٨  
أنظر (٣) أنظر



تعباً ، أعمال مفردة تسمى البند ، كما يقال أجناد الشام . غير أن بند الروم أوسع من هذه الأجناد وأطول<sup>(١)</sup> وجعل السعدي تسعة ثغور في الجهات الآسيوية وخمسة ثغور في الجهات الأوروبية من الإمبراطورية البيزنطية .

ورتيب السعدي هذه البند على النحو الآتي :

الآتي : ماق وهو جيش التتالك Anatolicoi

الآيست  
ترقيين<sup>(٢)</sup>  
بافيليا<sup>(٣)</sup>  
القيادق  
الفلار  
الاقطاط  
الارميناك  
فلاغونية<sup>(٤)</sup>

فهذه تسعة بند دون الخليج على الثغور الشامية والجزرية وغيرها من بلاد الإسلام ، والخمسة الباقية من البند دولة الخليج متصلة بالقسطنطينية وهي :

طالبا  
مقدونية  
بيرونسية  
غالونيك  
زاقيا<sup>(٥)</sup>

- (١) السعدي : الفقيه والاشراف ١٧٦  
(٢) السعدي : الفقيه والاشراف من ١٧٧ . وكان في الأتراك .  
(٣) السعدي : الفقيه والاشراف ١٧٨ — ١٧٩  
(٤) السعدي : الفقيه والاشراف من ١٨٠  
(٥) زاقيا

طالفا  
زاقية  
مقدونية  
أفلاجونية  
الافلى ملطى  
الآيست  
ترقيين  
الناغوس  
سلوقية  
القيادق  
خرسيون  
الفلار  
ارميناك  
خلدية  
Chaldia  
Armeniakoi  
Bucellarit  
Charsianon  
Cappadocia  
Seleukeia  
Anatolicoi  
Thrakesioi  
Opsikion  
Optimatoi

وجعل ابن خرداذبة في نهاية قائمته ثغرى سلوقيا وقبادوقيا<sup>(١)</sup> . ومن هذه الثغور أحد عشر ثغراً في آسيا وثلاثة ثغور في أوروبا . وتتفق مع هذه القائمة وتطابقها القائمة التي أوردها الأديبى<sup>(٢)</sup> . أما التوائيم الثلاثة الأخرى فهي التي أوردها ابن الفقيه وقائمة والمسعدي . وعلى الرغم من أن التوائيم الأربعة الأولى تختلف في ترتيب البند أو الثغور فإن التعابه بينها بلغ من القوة ما يدعو إلى الاحتياط بأنها استقت معلوماتها عن مصدر واحد . بينما انفرد السعدي بإيراد تفاصيل تدل على أنه استخدم مصادر أخرى . إذ أشار السعدي إلى أن وأرض الروم كانت من قديم الزمن على أربعة عشر

- (١) (٢)

اصطلاح آخر ورد في كل النصوص ، وهذا الاصطلاح هو exercitus الذى يقصد به الجيش ، فصار يعرف قائد صفقية بقائد جيش صفقية .

يطلق على الإقليم بعد أن كان يطلق على فرق الجيش المرباطة بالإقليم<sup>(١١)</sup> .  
theme لفظ Le chef de l'exercitus insulae siciliae . ثم صار لفظ

وعلى الرغم من أن كبار رجال الإدارة المدنية بالإقاليم لم يحتفوا بها بأدفعه واحدة ، فلا شك في أنهم منذ القرن الثامن الميلادى أخذوا يقتدون بالتدريج ما لهم من نفوذ وسطان ، حتى صارت الأمور المدنية في يد القائد العسكري بالإقليم<sup>(١٢)</sup> .

ويقسم جيش النغر عادة إلى قسمين أو ثلاثة أقسام ، يطلق على كل منها لفظه Turmachy أو mere يولى رئاستها قائد يطلق عليه Turmarch أو merarch وانقسم شطر النغر بدوره إلى ثلاثة أقسام يسمى كل منها باسم moira يقب قائده باسم Drungarius . واجتمع في كل واحد من هذه الأقسام عشر جماعات Tagmata يولى كل منها قائد<sup>(١٣)</sup> .

واهتمت الإمبراطورية البيزنطية بتحديد واجبات الفرق العسكرية المختلفة ، فمن واجبات جيوش الأجناد حماية الثغور من الغارات الخارجية . فإذا قام المسلمون بعبور الحدود ، تولى قائد المنطقة أو الجهة التى اجتازها العدو إخطار قائد النغر بذلك ، فيقوم القائد بإصدار الأجناد المجاورة ويوجه قوة من فرسان النغر لتعقب آثار المغيرين ، فيحتل المنشأة الدروب التى ربما استخدمها المغيرون عند عودتهم ، وفى الوقت ذاته تحشد الثغور والجواررة الجيوش الضخمة وتستخدم لتجميع نقطة معينة ، يتوقعون أنها هدف للمغيرين فإذا نجح توقيتهم ، وقع المغيرون فيما نصبه لهم خصومهم من كمين ، وربما قام

وأشار المسعودى إلى أقاليم سيلوقيا وخرسانوس (خرشنة) وكولونيا على أنها أقاليم في بنود كبير يوتى Cibyreales والأرمينياك وفلاعونيا<sup>(١١)</sup> . ويخالف المسعودى سائر المؤلفين في أنه أضاف إلى الثغور الأوربية ييلوبونيز وسالونيك ، كما أضاف إلى الثغور الآسيوية كبير يوتى وكولونيا وأغل

ذكر بند الخالدية<sup>(١٢)</sup> . وورد ذكر هذا النغر في قائمة ابن خرداذبة . ولم يشر أى كاتب يورثانى إلى نغر طالابا ، بل إن قسطنطين جعل القسطنطينية تقع في نغر ترافيا ، وليس لذلك من تفسير سوى أنه برغم وقوع القسطنطينية في ترافيا ، لم يخضع جند العاصمة لقائد نغر ترافيا بل خضعوا للقائد الجند بها<sup>(١٣)</sup> . ويعتبر ابن خرداذبة أول من أشار من كتاب العرب والروم إلى نغر خالديا وسلوقية وخرسانوس ، كما يعتبر أول من أشار منهم إلى قبادوقيا على أنها نغر فائق بذلك صوماً جديداً على حدود حكومات الثغور .

وينبغي أن نعرف إلى ما امتازت به هذه الثغور من خصائص . إذ من الملاحظ أن الحكومات الإقليمية اتخذت لها أسماء تميزت بها ، ولم تكن هذه الأسماء جنسية خالصة ، شأن الأسماء التى جرى إطلاقها على الأقاليم التى تفرعت عن الثغور<sup>(١٤)</sup> . الأولى . فأسماء الأرمنياك ، الأناطولييك الكبير يوتس ، الهيلاد (اليونان) ليست سوى أسماء أم لا أسماء أقسام إقليمية<sup>(١٥)</sup> .

يضاف إلى ذلك أن لفظة theme التى أطلقت في القرن العاشر الميلادى على أقاليم الإمبراطورية البيزنطية لم يرد لها ذكر في القرن السابع بل جرى

Brooks : op cit p. 69

Brooks : op. cit p. 69

Brooks : op. cit p. 69

(١) أنظر

المسعودى : القتيبة والاضراب ص ١٧٩

(٢) أنظر

(٣) أنظر

(٤) أنظر

(٥) أنظر

(١) أنظر

(٢) أنظر

(٣) أنظر

Diehl : op. cit p. 287

Diehl : op. cit p. 288

Bury : op. cit p. 226

من أعدائهم من خطط حربية ثم عمدوا إلى ابتداع أساليب لمواجهة هذه الخطط وإفسادها. فالفرجة مثلا كانوا ضحية لا يشتهروا به من الاندفاع والتهور، أما الترك ومن إليهم من المجريين والجنك فلا يقلون عن البيزنطيين في المكر والخديعة، وتألفت جيوشهم من جحافل ضخمة من الفرسان المشهورين بالخفة وسرعة الحركة، فتطلب ذلك من البيزنطيين مضاعفة الجذر والإيمان في قتال العدو ومحاولة قذف فرسانهم عن ظهور الخيل.

ولم تبد خطورة الصعاليه إلا في الحروب الجبلية، فإذا اشتبكوا مع البيزنطيين في السهول حلت بهم الهزيمة. ويعتبر المسلمون أقوى هؤلاء الأعداء وأخطرهم، إذ أن في استطاعتهم حشد جيوش ضخمة والتحرك في سرعة بالغة فضلا عن دراستهم بالفنون الحربية وأساليب القتال. ويرى البيزنطيون أن المسلمين يفتقرون إلى القدرة على تنظيم الجيش، كما أن روحهم المنوية سرعان ما يجل بها الانحسار عند وقوع الهزيمة بهم، فإذا انحصر المسلمون في معركة وامتلأت أيديهم بغنائم العدو، ثم قتلوا راجعين مطمئنين إلى انتصاراتهم وغنائمهم، ساروا الهوينى ولم يجعلوا لمباغتة العدو حسابا، فإذا حدثت المباغتة ركزوا إلى الحرب. يضاف إلى ذلك سرعة تأثير المسلمين بالأحوال المناخية، فالبرد والمطر يتالان من قوتهم، ولا يجتئى البيزنطيون لقاء المسلمين إلا لوفرة عدد قواتهم<sup>(١)</sup>.

على أن المسلمين أدركوا خطورة الروم على بلادهم، واعتبروهم أخطر أعدائهم، فأقاموا تنورا مقابله للبلادهم. منها تنور بريه تلقى البلاد العدو وتقايريه من جهة البر، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر. ومنها ما يجتمع فيه الأمران، وتقع المغازي من أهله في البر والبحر. وهذا ما يجري في التنور المروقه بالشامية<sup>(٢)</sup>. إذ أن ما يجمع من تنورها من ارتعاج يفتق

الجيش البيزنطي بهجوم مضاد، وفي هذه الحالة يقوم الأسطول بهاجته السواحل الإسلامية وتخريبها<sup>(٣)</sup>.

واشتهر البيزنطيون في حروبهم بالجذر الشديد، وتكلم ما وضعوه من خطط حربية. والذي دعاهم إلى ابتداع هذه السياسة هو أن أعداءات المغيرين والأعداء على أراضيهم بلغ من كثرتها وتكرارها ومفاجأتها ما جعل كل سياسة هجومية تكاد تكون غير مجدية. كما أن الجيش البيزنطي لم يضارع الجيش الإسلامي في ضخامة عدده. يضاف إلى ذلك ما تكبدته الدولة من نفقات طائلة في إعداد جيشها، فقامت الخطة الحربية على الإفادة من هذا الجيش بالحصول على أكبر نصيب من الربح بأقل تضحية ممكنة في الأرواح والعتاد. وتضمن كتاب بيزنطي لم يعرف موقعه في فن الحرب الإشارة إلى عدم الاندفاع واعتبار المخاطرة ضربا من الحماقة والتهور، كما حذر القادة من الحرب ومباغتة العدو لهم، ونصحهم ألا يجعلوا جناحي الجيش مكشوفين، وحث على اتخاذ الكشافة لا تباد المسالك والطرق ومعرفة أخبار العدو، ونصح بإعمال الحيلة والمكيدة. على أن الفضائل والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الجندي من حفظ العهد والإبقاء على حياة الأسرى وعدم التعرض للنساء. بالأذى وعدم استغلال العدو بعد استسلامه وخضوعه، فلم تجد اهتماما بالغا من المؤلف، بل أوصى القادة باتخاذ كل الرسائل التي تكفل لهم النصر من تضليل العدو والتجسس عليه والإيقاع بين صفوفه وإلهايم الجند بالانتصارات الباهرة<sup>(٤)</sup>.

وربما أفاد البيزنطيون من هذه التدابير، غير أن ما لديهم من قوة حقيقية تركز فيها اشتهروا به من الذكاء وما درجوا عليه من مهارة في مقابلة أعدائهم على اختلاف أجناسهم، فأخذوا أنفسهم بالتعرف إلى ما عند كل فريق

(١) انظر Runciman : op. cit p. 144

(٢) قدامة ابن جفر - كتاب الخراج - المكتبة المطبوعة : ١ ص ٢٥٢

(٣) انظر



أحوال خيولهم، فيقيمون ثلاثين يوماً، وهي بقية آيار وعشرة من حزيران (يونيه)، فإنهم يحدون السكالا في بلد الروم مكاناً وكان دوابهم ترتفع ربيعاً ثانياً، ثم يبقون فيقيمون إلى خمسة وعشرين يوماً وهي بقية حزيران وخمسة من توز (يوليه) حتى يقوى ويسمن الظهر ويجمع الناس لغزو الصائفة، ثم يغزون لعشر تخلو من توز فيقيمون لوقت قتلهم ستين يوماً. فأما الشواني فإن كان لابد منها فليكن بما لا يعيد فيه المحارب ولا يورغل ولكن مسيره عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهوره، وأن يكون ذلك في آخر شباط (فبراير) فيقيم الغزاة إلى أيام خمسي من آذار (مارس) فإنهم يحدون العدو في ذلك الوقت أضعف ما يكون نفساً ودواباً ويجدون مواشيهم كثيرة ثم يرجعون ويربعون دوابهم<sup>(١١)</sup>.

وتجلبت قوة الجيش البيزنطي في الفرسان المعروفين باسم Caballarii والرودين بكامل الأسلحة، فيضع الواحد منهم على رأسه خوذة من الصلب، ويرتدي زردية، ويخذ ضباط وجند الصف الأول من الجيش أقدمة من الصلب لوقاية وجوههم، ويلبس الواحد منهم فوق سلاحه ثوباً من الكتان أو الصوف حسباً تقتضيه الأحوال المناخية. أما السلاح فالسيف والخنجر والفرس والرجل. وجرت العادة بأن يتخذ فرسان كل فرقة من الجيش لوناً خاصاً لبناهم وأعلى خوذاتهم وروسهم رماحهم. وتألف المشاة في الغالب من الرماة؛ وقامت أقاليم الإمبراطورية البيزنطية بتقديم الجند الماهرة في استخدام الخراب، فخلوا مكان الرماة. واشتهر المشاة كذلك بما اتخذوه من الدروع والراح والحروب والسيوف والتروس. ومن الرماجات الملقاة على حائق المشاة عبور الدروب الجبلية التي لا يستطيع الفرسان اجتيازها. أما البيزان الإغريقه التي تعتبر المظهر الأساسي للحروب البحرية عند

معالجها وسائل وجوه شأنها وهي المراقب والحرس والقوانين والوكلاء والموكلين بالدروب والخفافض والحصون، وغير ذلك مما جالسه من الأمور والأموال ويحتاج إلى تحتها من الجند والصماليك. ورأى معاريفها الصولف والتواني في البر والبحر ويتصل بها من جهة البر القبادق والتاتاليق، ومن جهة يلقاها من بلاد العدو ويتصل بها من جهة الشامية وإلى جهة الشمال منها ما يعرف البحر سلوقية<sup>(١١)</sup>. ثم يلي الغور النصارية وإلى جهة الشمال منها ما يعرف بالغور الجرزية، وأقام المنتقم عند نهضة إلى بلاد العدو في منتصف القرن التاسع حصوناً وغوراً عديدة، كل واحد بينه وبين بلد العدو درب وعقبة، فغز ملطية مع بلد العدو في بقعة وأرض واحدة، ويواجه هذه الغور ويقابلها من بلد الروم خرسنه وعمل الخالدية<sup>(١٢)</sup>. وأفاد المسلمون من اليالصة (Paulicians) الخاضعين لسلطة حاكم أرمينيا، وعلى الرغم من أنهم من الروم فإنهم يجالغونهم في كثير من مذاهبهم، وكانوا مع المسلمين يبنونهم في غزواتهم فيتفرق على المسلمين الموت بهم إلى أن رحلوا دفعة واحدة من هذا الموضع بإسالة أهل الغور معاشرتهم فغزقوا في البلاد وسكن مكاثرهم الأرض وشيدوا الحصون النبعة<sup>(١٣)</sup>. وفي هذه الغور تقع المغازي ومنها كانت النفقة حسب الغزاة. وعلى هذه الغور وإلى الشمال منها الغور المسماة بالبكرية التي تنتهي في أقصى الشمال بقر قايقلا، ويقابلها من أعمال الروم الأرميناق، وبعض عمل الخالدية، ويقرب منها عمل أفلاغونية المتصل ببلاد الحرر<sup>(١٤)</sup>.

ثم وصف قدامة الغزوات الإسلامية: وتقع الغزوة الربعية لعشرة أيام تخلو من آيار (مايو) بعد أن يكون الناس أربوا دوابهم وحصن

(١) قدامة بن جعفر: المراجع ص ٢٥٣

(٢) قدامة بن جعفر: المراجع ص ٢٥٣

(٣) قدامة بن جعفر: المراجع ص ٢٥٣

(٤) قدامة بن جعفر: المراجع ص ٢٥٣

(١) قدامة بن جعفر: كتاب المراجع ص ٢٥٩

Vasiliev: Byzance et les Arabes

الوجه الآخر، وكذلك، محمد عبد القادر شمس الدين ص ٨٩ - ٩١

ويرداد الراتب حتى يبلغ ما يتقاضاه ثمانى عشرة نوبيرة<sup>(١١)</sup>.

ومن النتائج التى ترتبت كذلك على قيام النفور أنه أصبح من اليسير تجنيد جيش من داخل الامبراطورية البيزنطية ، بعد أن جرى استخدام الجند المأجورة من المتبررين فى الجيش زماناً طويلاً ، كما أن ما تنفقه الحكومة على الجيش والدفاع عن الامبراطورية من أموال قد انخفض مقدارها بسبب توزيع الاراضى على الجند. يضاف إلى ذلك أنه تألفت طبقة من الجند الفلاحين — لا من الارستقراطية كما هو الحال فى الغرب — اشتهرت بالحرص الشديد والغيرة القوية على الدفاع عن أملاكها التى تعتمد عليها فى معيشتها وفى شراء الأسلحة ، فضلاً عما تدفعه من ضرائب للدولة<sup>(١٢)</sup>.

ومن الملاحظ أن قادة النفور الاسيوية والقواعد البحرية وقائدى ثغرى ترافيا ومقودنيا تناولوا مرتباتهم من الخزانة العامة مباشرة. بينما تقاضى حكام النفور الاورودية مرتباتهم مما يتحصل من أقاليمهم من ضرائب<sup>(١٣)</sup>. وتدرجت ارزاق قادة النفور فى آسيا من ٢٠ رطلاً من الذهب إلى ٤٠ رطلاً فى السنة (٢١٦٠٠ - ٤٢٢٠٠ من الفرنكات الذهبية). أما حكام المراكز الغربية Turmarchs فلم يقل ما يتقاضاه الواحد منهم على ثلاثة أربال (٣٢٤٠ فرنكا ذهبياً)<sup>(١٤)</sup>. على أن الدولة صارت تنفق سنوياً على الجيش فى الثغور الشرقية وترفيا ومقودنيا مبالغ تتراوح بين ٥٠٠ ألف فرنكا ذهبياً ، و٢٥٠٠٠٠ فرنكا ذهبياً<sup>(١٥)</sup>.

لم يرِد فى المصادر اليونانية أو العربية ما يشير بالدقة إلى عدد الجند

(١) أنظر Runciman : The Byzantine

Civilisation p. 145 - 146

(٢) أنظر Kantarowicz : op. cit p. 157

(٣) أنظر Bury : op. cit p. 225

(٤) أنظر Runciman : The Byzantine Civilisation p. 145

(٥) أنظر Runciman : The Byzantine Civilisation p. 146

البيزنطيين فلم يلجأ الجيش إلى استخدامها إلا فى حالة حصار العدو للمدن<sup>(١٦)</sup>.

وترتب على نظام النفور تغييرات بالغة الأهمية أثرت فى الكيان الاجتماعى للإمبراطورية البيزنطية. إذ أن الجيش القديم الذى تألف من متبررين مأجورين لم يعد له وجود ، ولم يبق منه إلا الحرس الامبراطورى بالقسطنطينية ، وحل مكانه جيش جديد من الجند الفلاحين ، واستقر هذا الجيش فيما يعرف بالأجناد أو النفور. وقامت الدولة بتقسيم الاراضى التى نزل بها الجيش إلى ضياع Stratiota ktemate ووزعها على الجند ، تقي الواحدة منها بحاجات أسرة بأكملها ، وتوارث الأسرة الحق بشرط أن يقوم الملتحق بتأدية الخدمة الحربية<sup>(١٧)</sup>. ولجندى الفلاح أن يجوز من الارض ما يكفى لمعيشته بشرط أن يكون فى استطاعته هو وأسرته القيام على زراعتها وينبئ ألا يقل ما يجوز له الجندى عن ضيعة يقدر ثمنها بأربعة أربال من الذهب ، وينبئ ألا يتصرف فيها بالبيع أو الشراء ، فإذا زادت المساحة على هذا الحد جاز له أن يبيع الزيادة. وجرت العادة بأن يرث الضيعة الابن الأكبر على أن يقوم بتأدية الواجبات العسكرية ، ويعمل الانباء الصغار فلاحين فى زراعة الارض ويدفعون ما هو مقرر عليها من ضرائب ، دون أن ترتبط أرضهم بالواجبات العسكرية. وضعت لفظة Stratiotes يقصد بها الفلاح الذى يستقر بالإقليم ويجوز أن يمتلك من الارض ما يصارع فى المساحة أقطاع الفارس الثرى. وعند استدعائه للخدمة الحربية عليه أن يقدم موزداً بكامل الأسلحة وبفرس جيد. وعليه أن يدفع بعض الضرائب عن ضيعة الصغيره<sup>(١٨)</sup>. وفى أثناء خدمته الحربية يتقاضى راتباً صغيراً فيأخذ فى السنة الأولى نوبيزما واحدة ، وفى السنة الثانية نوبيزمتين ،

(١)

(٢)

(٣)

ومن المعروف أن عصر الجند الفلاحين يتفق مع أزهى عصور التاريخ البيزنطي . ف نظام الثغور لم يعمل فحسب على بعث القوة الحربية البيزنطية ، بل صار له آثار اجتماعية خطيرة الشأن ، إذ أن الجندى الفلاح الثقوى ، والفلاحة التي درج عليها أبناء هؤلاء الجند من خير الوسائل لوقف نفوذ كبار الملاك dynatoi واحد من أطامهم<sup>(١)</sup>

وفي هذه الظروف التي استمرت حتى منتصف القرن الحادي عشر أخذت الدولة البيزنطية تزداد قوة وتماسكاً . واستطاعت أن تسترجع أجزاء كبيرة من الأراضي التي فقدتها بأسيا الصغرى والبلقان . غير أن ذلك لم يقض مطلقاً على ما كان يجتمر في داخل البلاد من تطور وتحول نحو النظام الإقطاعي وتفتك في القوة الحربية في الثغور<sup>(٢)</sup> .

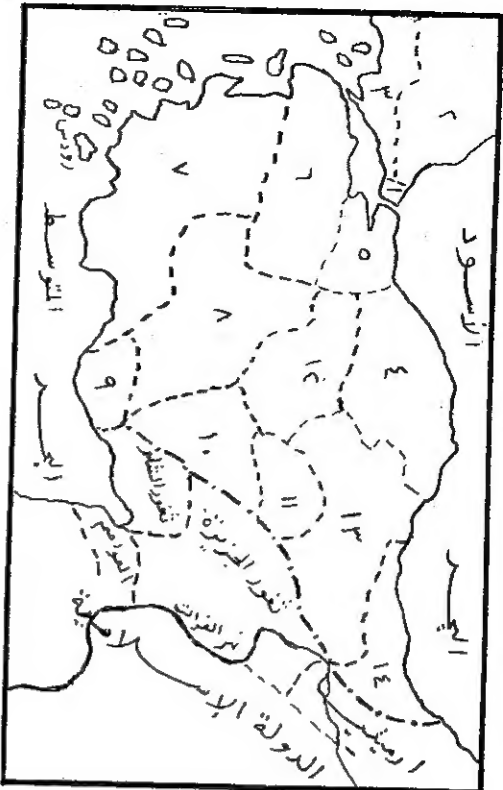
المرايطين بكل ثغر من الثغور ، ولا شك في أن اختلاف هذه الثغور بعضها عن بعض من حيث الأهمية الاستراتيجية وضخامة المساحة والموقع كان له أثر كبير في عدد من يربط بها من الجند . وأشار الأستاذ يورى Bury إلى ما كان يربط ببعض هذه الثغور من القوات الحربية في القرن التاسع الميلادي فأورد عدد القوات الآتية ترجيحاً .

بافلاجونيا	٤,٠٠٠ جندى
الارمنياك	٨,٠٠٠ جندى
ترافسيان	٨,٠٠٠ جندى
البيقار	٨,٠٠٠ جندى
ترافيا	٥,٠٠٠ جندى
مقدونية	٥,٠٠٠ جندى <sup>(١)</sup>

وأقصى عدد بلغه الجيش البيزنطي كان ١٢٠ ألف جندى ، أقام منهم سبعون ألف في الثغور الشرقية ، واستقر الباقون في الثغور الغربية والماصية . يضاف إلى هؤلاء عدد كبير من غلمان المعسكر الذين يهجون الجيش في حركاته وتنقلاته ، ويقومون بنصب الخيام وحفر الخنادق ، فضلاً عن وحدات من المهندسين والأجابه تتولى إقامة المعسكرات الللا وإسفاف الجرحى والمصابين وتوفير أسباب الراحة لهم<sup>(٢)</sup> .

على أن الجند الفلاحين لم يكونوا جميعاً من أصل يوناني ، بل إن كثيراً منهم جاء من أصل أجنبي ، فتكاثر عدد الأرمن النازلين في الثغور ، كما كان بين الجند عدد غير قليل من الصقالية والأجناس الأخرى<sup>(٣)</sup> . واستمر نظام الثغور قوياً فعلاً مدة ثلاثة قرون ونصف قرن من الزمان .



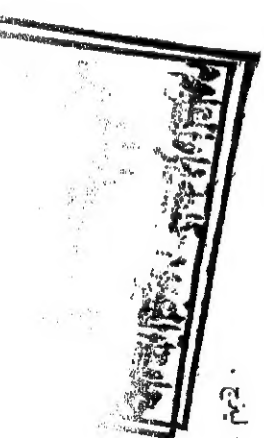


أقطار الروم في القرن التاسع الهجري

Talaya	١ - طالايا - طالايا - طالايا
Thrace	٢ - تراقيا
Macedonia	٢ - مقدونيا
Paphlagonia	٤ - بافلاجونيا
Optimatoj	٥ - الأقطى ملطي
Opstikon	٦ - الأبيق
Thakesioi	٧ - ترقيس
Anatalikoi	٨ - الناطوس
Seleukeia	٩ - سلوقية
Cappadocia	١٠ - القبايق
Charsianon	١١ - خرسه
Bucellarii	١٢ - البقلار
Armeniakoi	١٣ - لارميناكي
Chaldia	١٤ - الخالدية

## المصادر والمراجع

- Brooks, E.W. Arabic Lists of the Byzantine Themes. Journal of the Hellenic Studies Vol. XXI (1901).
- Bury, J. B. : History of the Eastern Roman Empire. London 1912.
- Diehl, Charles : L'origine du régime des themes dans l'Empire Byzantin ( Etudes Byzantines Paris 1905 )
- Kantarrowicz, Ernest H. Feudalism in the Byzantine Empire. ( Feudalism in History Edited by Rushon Coulton. Princeton 1956 ).
- Runciman, Steven : The Byzantine Civilization. London 1948.
- The Medieval Manichee, Cambridge. 1955.
- Vasiliyev, A. A. : The Byzantine Empire Wisconsin University Press 1952.
- Byzance et les Arabes Trad. Gregoire et Canard Vol. I Bruselles 1935.
- ابن خردادبه: كتاب المسالك والممالك - نصر دي غويه - - ليدى ١٣٠٦ هـ
- السعودى: كتاب التنبؤ والاعتراف - نصر دي غويه ليدى ١٨٩٣ م
- مينز ( تورمان ) - الامبراطورية البيزنطية ترجمة الدكتور مؤنس - - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٥٠
- فازلييف: العرب والروم - ترجمة الدكتور محمد عبد الحادى شعيرة - دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٩٥٠
- قدامة بن جعفر: كتاب الخراج - - نصر دي غويه - - ليدى سنة ١٩٠٦
- ( المكتبة المطبوعة - الجزء السادس )
- ياقوت: معجم البلدان - - نصر ومستفاد - - لينج .



20/02

